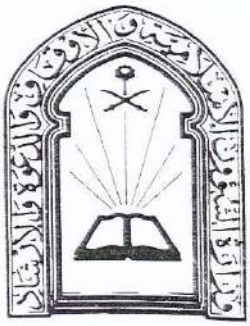

التفسير البسيط للقرآن الكريم

إعداد

د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
عميد كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

الجزء الخامس عشر

منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشا
الأمانة العامة لمسابقة القرآن الكريم

ⓒ وزارة الشئون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
باجودة، حسن محمد
التفسير البسيط للقرآن الكريم : الجزء الخامس عشر ـ الرياض
.. ص ، .. سم
ردمك ١-١٥٦-٢٩-٩٩٦٠
١ - القرآن ـ تفسير أ ـ العنوان
ديوي ٢٢٧ ١٨/١٠٦٣

رقم الإيداع : ١٨/١٠٦٣
ردمك : ١-١٥٦-٢٩-٩٩٦٠

التفسير البسيط للقرآن الكريم

إعداد

د. حسن محمد باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية البيانية
عميد كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فهذا تفسيرٌ مبسّطٌ للجزء الخامس عَشَر من القرآن الكريم، يغطّي سورة الإسراء وأكثر سورة الكهف. وقد قمت بعمله، على غرار تفسير الأجزاء الأربعة عشر السّابقة. إنّ هذا الجزء الخامس عشر، هو مَيْدان التّفسير للمتسابقين، في الحقل الأوّل، الّذي يشمل حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التّفسير، مِنْ بين الحقول الخمسة للمسابقة، في الاحتفال السّنويّ الثّامن عشر الّذي عقدته وزارة الشّئون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد برئاسة معالي وزيرها الأستاذ الدّكتور عبدالله عبدالمحسن التّركي في أثناء الفترة من ١٣/ ١٠/ ١٤١٦هـ إلى ٢١/ ١٠/ ١٤١٦هـ الموافق ٢/ ٣/ ١٩٩٦م ١٠/ ٣/ ١٩٩٦م. وكأنّ هذا التّفسير تتويجٌ للأعمال الّتي تمّت في مجال التفسير، في أثناء المسابقة الثّامنة عشرة، علماً بأنّ ميدان المتسابقين في المسابقة التّاسعة عشرة عام ١٤١٨هـ إن شاء الله تعالى، هو الجزء السّادس عشر من القرآن الكريم.

وأنتهز هذه المناسبة المباركة كي أوجّه خالص شكري وتقديري لوزارة الشّئون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد، وعلى رأسها معالي الوزير، على الفرصة الّتي منحتني إيّاها، بأن أقوم بعمل هذا التّفسير، الّذي خرصت فيه كما حرصت في سابقيه، على أمورٍ أهمّها ثلاثة:

١ ـ أن أبيّن مظاهر التّرابط بين الآيات الكريمات والموضوعات .

٢ ـ أن أشير إلى الدّروس الّتي يمكن أن تستفاد.

٣ ـ أن أنسب الأقوال كلّها إلى مصادرها.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنّه سميعٌ مجيب.

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. ربّنا ولا تَحْمِلْ علينا إصراً كما حَمَلْتَهُ على الّذين من قبلنا. ربّنا ولا تُحَمّلْنا ما لا طَاقة لنا به. واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا. أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

﴿سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون. وسلامٌ على المرسلين. والحمد لله ربّ العالمين﴾.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة
صبيحة يوم الجمعة ١٢/ ٢/ ١٤١٧هـ
الموافق ٢٨/ ٦/ ١٩٩٦م

كتبه الفقير إلى عفو ربّه
د. حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة
وعميد كلّيّة اللّغة العربيّة
جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

أولاً :

سـورة الإسـراء

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

ترتيبها ١٧ — آياتها ١١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ
وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾
إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ
حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾
وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ
ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ
ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا
يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ
ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ
جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ
ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ
سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ
رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا
﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾
۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا
يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ
أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى
صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ
فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ
وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ
كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟
أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى
ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى
هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ
مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ
إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم
بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾
قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا
﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن
لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ
ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا
مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ
وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا
﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ
إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ
كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾
وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى
صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن
يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ
وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ
أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ
عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ
يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ
وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا
يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾
وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ
وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ
إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا
جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ
فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٠﴾
وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ
قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي
كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ
مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ
فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ
فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ
إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ
بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟
لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ
فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ
بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ
كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ
أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ
وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ
تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ
ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ
ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ
قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ
نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ
أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن
لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ
إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ
أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا
﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ
سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى
وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل
لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ
صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ
إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ
ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ
فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا
زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾
أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَلَن نُّؤْمِنَ
لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ
كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ
ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ
فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا
وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ
هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ
يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ۚ إِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ
وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ
ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

بين يدي
التّفسير

((سبحان الّذي أسري الملائكة بعبده محمّد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى))

الآيـــــة (١)

تبدأ السّورة الكريمة بالنّصّ على معجزة الإسراء بالمصطفى ﷺ من المسجد الحرام في مكّة المكرّمة ، إلى المسجد الأقصى في القدس الشّريف، وذلك في الآية الكريمة الأولى الّتي تنزّه الله تعالى عن كلّ ما ألحقه الظّالمون به عزّ وجلّ ممّا لا يليق به جلّ وعلا مِنْ صاحبةٍ وولد وشريكٍ ووليّ وما إلى ذلك. وحينما تشير الآية الكريمة الأولى إلى معجزة الإسراء الّتي سُمِّيَت السّورة الكريمة بها، يكون ذلك من باب إطلاق الجزء على الكلّ. والآية الكريمة تنزّه الله تعالى، الّذي أسرى الملائكة الأطهار بعبده المصطفى محمّدٍ ﷺ ، في جزءٍ قصيرٍ من اللّيل وأخير، من المسجد الحرام في مكّة المكرّمة، إلى المسجد الأقصى في القدس الشّريف. وقد بارك الله تعالى حول المسجد لأقصى بالكثير من الخيرات المعنويّة والماديّة ومن باب الأحْرى المسجدُ نفسهُ والقدس الشّريف. وقد أسرى الله تعالى بعبده محمّد ﷺ، ليريه جلّ وعلا مِنْ آياته الكبار، ومعجزاته العظام. إنّ الله تعالى هو السّميع لكلّ قول، البصير بكلّ ما يُعْلِن الإنسان أو يُسِرّ، مِنْ فعلٍ أو قولٍ أو نيّة، مجازٍ على كلّ ذلك. ولُقِّب المسجد بالأقصى بمعنى الأبعد، لأنه آنذاك أبعد المساجد، ولأنّه أبعد المساجد الثلاثة الّتى تُشدّ إليها الرّحال من الكعبة أو القبلة. والمسجد الثّالث مسجد المصطفى ﷺ في المدينة المنورة.

ومع أنّ المعراج يرتبط بالإسراء فإنّ السّورة الكريمة سكتت عن المعراج الّذى تحدّثت عنه الثّمانى عشرة الآية الأُوَل من سورة النّجم، وإنّ السّكوت عن المعراج من مظاهر رحمة الله تعالى بكلٍ من الحبيب ﷺ والنّاس. وتفسير ذلك أنّ الإسراء معجزةٌ مرتبطةٌ بالأرض يمكن تقديم الدّليل عليها ، وقد جَلَّى الله تعالى لحبيبه ﷺ وهو فى الحِجْر بيت المقدس فوصفه لقريشٍ حينما كذّبته ، لذا كان الحديث عن الإسراء بصريح اللّفظ ، فوجب الإيمان بما صرّح به القرآن الكريم من معجزة

الإسراء . أمّا معجزة المعراج من بيت المقدس إلى السّماوات العُلَى فإنّها مرتبطةٌ بالسّماء ولا يمكن تقديم الدّليل عليها ، لذا كان الحديث عن المعراج بدلالة الالتزام. إنّ من مظاهر رحمة الله تعالى بعباده أن : «جعل النّصّ على الإسراء الّذى يقام عليه الدّليل المادّي ـ لأنّه أرضِيّ ـ بالنّصّ الصّريح . وجعل المعراج ـ لأنّه سماويّ ـ بالالتزام» (١)

لقد كان الإسراء والمعراج قبل الهجرة . ومن العلماء من ذهب إلى أنّ ذلك قد كان قبل الهجرة بسنةٍ واحدة ، بعد موت عمّ النّبي ﷺ أبى طالب وزوجه خديجة رضي الله عنها ، وردّ ثقيف غير الكريم على دعوته ﷺ لها فى الطائف إلى الإسلام . والرّاجح أنّ الإسراء والمعراج كانا بجسد المصطفى وروحه ﷺ ، لأنّ أيّ رؤيا منامية لا تستدعى كلّ ذلك التكذيب من قريش ، وارتداد بعض ضعاف الإيمان من المسلمين . والله تعالى أعلم .

ومن مظاهر رحمة الله تعالى بعباده أيضاً أن يتحوّل الحديث من محمّد ﷺ ومعجزة الإسراء ، إلى موسى عليه السّلام . وإنّ الحكمة من التّحوّل إلى موسى عليه السّلام تتجلّى فى العديد من أوجه الشّبه بين الرّسولين الكريمين والملابسات التى مرّت بها دعوتهما . منها أنّ الرّسولين من أولى العزم من الرّسل الخمسة ، وهم ، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليهم أجمعين وسلمّ ، ومنها أنّ كلاً منهما قد أوحى الله تعالى إليه بكتابٍ سماويّ ، التّوراة في حقّ موسى عليه السّلام ، والقرآن الكريم في حقّ محمّد بن عبد الله ﷺ ، ومنها أنّ كلاً من الرّسولين الكريمين ذو علاقةٍ بأرض الشّام الّتى بارك الله تعالى فيها معنوياً بالنبيّين ، ومادّياً بوفرةِ المياه وكثرةِ الزّروع والضّروع والخيرات ، ومنها أنّ كلاً منهما صادف مِن قومه الكثير من العَنتِ والمشقّة رغم كثرة المعجزات وشدّة وضوحها . وبشأن موسى عليه السّلام إذا كانت معجزاته تتجلّى فى الآيات المادّيّة المحسوسة وكانت التّوراة يتجلّى فيها المنهج ، فإنّ محمّد بن عبد الله ﷺ يتجلّى

(١) الإسراء والمعراج محمّد متولّى الشعراوى ٥٨.

فى كبرى معجزاته الخالدة وهى القرآن الكريم ، كلٌّ من المعجزة والمنهج معاً . وما أكثر معجزات المصطفى ﷺ المادّيّة وراء ذلك .

﴿ إن عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد بعد المرّتين المذكورتين فى التّوراة الموحى بها إلى موسى عليه السّلام عاد الانتقام منهم ﴾ الآيات (٢ـ ٨)

يقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى التّوراة التّى جعلها الله تعالى هديً لبنى إسرائيل لئلاّ يتّخذوا من دونه جلّ وعلا وكيلاً يكلون إليه أمورهم ويعتمدون عليه فى شئونهم ، وقيل لهم : يا ذرّيّة من حملنا زمن الطوفان فى السّفينة مع نوح عليه السّلام الشّكور لمولاه جلّ وعلا ، كونوا شكورين مثل نوحٍ عليه السّلام ، الأب الثّانى للبشريّة وأوّل رسل الله تعالى إلى النّاس . ولم يكن القومُ الشّكورين دائماً للنّعم ، فها هي ذى التّوراة يوحى الله تعالى فيها الى بنى إسرائيل بأنّهم سوف يفسدون فى أرض الشّام مرّتين اثنتين وسوف يعلون على عباد الله تعالى علّواً كبيراً . فإذا جاء وعد أولى مرّتي الإفساد سلّط الله تعالى عليهم عباداً له جلّ وعلا أولى بأسٍ شديد ، وبطشٍ أكيد ، وقتالٍ شرس ، فطافوا خلال الدّيار ، وساموا بنى إسرائيل الخسف ، وأهلكوا الحرثَ والنّسل . وكان وعداً من الله تعالى مفعولاً أن ينتقم منهم جزاء إفسادهم . وبعد أن عاد بنو إسرائيل إلى بارئهم جلّ وعلا ، وتابوا توبةً نصوحاً ، ردّ الله تعالى الكرّة لبنى إسرائيل ، ونصرهم على عدوهم ، وأمدّهم بالكثير من الأموال والأولاد والرّجال القادرين على القتال . وقيل للقوم : إن أحسنتم بالطّاعات لله أحسنتم لأنفسكم فى الأولى والآخرة ، وإن أسأتم بالمعصيات ، أسأتم لأنفسكم فى الأولى والآخرة . فإذا جاء وعد المرّة الآخرة من الإفساد سلّط الله تعالى عليكم عباداً له أشدّ بطشاً وفتكاً من سابقيهم كفاء زيادة بغيكم وتعاليكم عن المرّة الأولى ، فجاسوا خلال الديار ، وبالغوا فى إذلالكم إلى الحدّ الّذى انعكس معه أسى نفوسكم سواداً فى وجوهكم ، ودخلوا بيت المقدس كما دخله السّابقون ،

وأهلكوا الحرث والنّسل مدّة علوّهم عليكم . ولمّا كان ابتعاد بنى إسرائيل عن الصّراط المستقيم كبيراً هذه المرّة ، وكان علاج نفوسهم الملتويّة بحاجةٍ إلى كميّةٍ أكبر من الدّواء ، وفترةٍ أطول من الزّمن ، فقد أومأ إلى هذه المعانى قولُ الحقّ جلّ وعلا : ﴿عسى ربّكم أن يرحمكم﴾ إنّ عسى من الله تعالى واجب ، وإنّ رحمة الله تعالى واسعة ، وإنّ استحقاق القوم للرّحمة يترتّب على التّوبة إلى الله تعالى توبةً نصوحاً . وإلى أن تتحقّق التّوبة النّصوح يتحقّق ما يترتّب عليها . ودليلاً على فطرة القوم المعوجّة يجىء القول : ﴿ وإن عدتم عدنا ﴾ والمعنى : وإن عدتم إلى الإفساد فى الأرض عدنا إلى الانتقام منكم بعدد مرّات الإفساد. إن تأريخ القوم سلسلةٌ من الإفساد فانتقام الله تعالى منهم . وختمت آخر آيات القسم بالقول : ﴿ وجعلنا جهنّم للكافرين حصيراً ﴾ إنّ النّار سجنٌ وفِراشٌ لكلّ الكافرين من النّاس ، من بنى إسرائيل وسواهم .

﴿ القرآن الكريم يهدى للطّريقة الّتى هي أقوم ، وكلّ إنسان مسئولٌ عن نفسه ، وسيثاب المحسن ويعاقب المسىء ، فاستبقوا الخيرات ﴾

الآيات (٩ ـ ٢١)

ابتدأت السّورة الكريمة بالحديث عن معجزة الإسراء بمحمّد بن عبد الله ﷺ خاتم النّبيين وأشرف المرسلين والموحى إليه بالقرآن الكريم ، ثمّ تحوّلت إلى الحديث عن موسى عليه السّلام ، وهو مثل المصطفى ﷺ من أولى العزم من الرّسل الخمسة وأوحى الله تعالى إليه التّوراة . ولمّا كان بنو إسرائيل لم يهتدوا بتعاليم التّوراة ، بل فسقوا عن أمر ربّهم ، فكان تاريخهم سلسلةً من الإفساد فى الأرض وانتقام الله تعالى منهم عدد مرّات الإفساد ، لزم تحذير الأمّة المسلمة من الوقوع فى الخطأ الّذى ارتكبه ويرتكبه أهل الكتاب عن طريق التّنبيه إلى وجوب السّير فى هَدْيِ القرآن لكريم ، وإلى مسئوليّة كلّ إنسانٍ عن نفسه . إنّ آيات القسم تدور حول هذه المعانى ، وإنّ السّياق يقرّر أنّ هذا القرآن الكريم يهدى للطّريقة الّتى هي

أقوم من كلّ طريقة ، ويبشّر المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات أنّ لهم أجراً كبيراً ، وينذز الّذين لا يؤمنون بالآخرة بأن لهم عذاباً أليما . والحديث عن القرآن الكريم في هذه السّورة الكريمة يشكّل موضوعاً كبيراً فيها . وإنّ لفظة : ﴿ قرآن ﴾ تجيء في سورة الإسراء بأكثر ممّا تجيء في أيّ سورةٍ أخرى من سور القرآن الكريم . والقرآن الكريم يهدى للطّريقة الّتى هي أقوم بطريقٍ مباشر على نحو ما تبيّن من أولى آيات القسم ، وبطريق غير مباشر حينما يلفت الانتباه إلى بعض آيات الله تعالى كي يأخذ النّاس العبرة منها ، وحينما يفهم الإنسان أنّه مسئولٌ وحده عن كلٍّ من نيّته وقوله وفعله ومجازيً على كلّ ذلك ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشرّ. إنّ القرآن الكريم يقرّر أنّ الإنسان عجول ، ومن الأدلّة على ذلك أنّه يندفع في الدعاء بالشرّ ساعة الغضب على نفسه وعلى من يحبّ وما يحبّ ، تماماً كما يندفع في الدّعاء بالخير ساعة الرّضا لنفسه وعلى من يحبّ وما يحبّ. إنّ على الإنسان ألاّ يدعو بالشّرّ على نفسه ومن في حكمها فربّما أصاب ساعة إجابة فأصيب ، كما جاء في الحديث النّبويّ الشريف . وكما يستفيد الإنسان من آي الذّكر الحكيم يستفيد من آيات الله تعالى في الآفاق وفي الأنفس ، ومن آيات الآفاق آيتا اللّيل والنّهار . إنّ الله تعالى محا آية اللّيل فجعلها سوداء مظلمةً تناسب حاجة المخلوقات للنّوم والرّاحة ، وجعل آية النّهار مبصرةً منيرةً تناسب حاجة المخلوقات المبصرة في الضّوء أو النّور للعمل وابتغاء فضل الله تعالى في أثنائها . ولمّا كان الإنسان مسئولاً ، ومن مظاهر إيجابيته تحمّل المسئوليّة ، وكان النهار أكثر إيجابيّةً من اللّيل جاء المعنى المترتّب على آية النهّار متقدّماً : ﴿ لتبتغوا فضلاً من ربكم ﴾ وجاء المعنى المترتّب على آية اللّيل متأخراً : ﴿ ولتعلموا عدد السّنين والحساب ﴾ وقد فصّل عزّ وجلّ في الكتاب العزيز الذّى تبيّن السّنّة المطهّرة معناه ، فصّل عزّ وجلّ كلّ شيءٍ تفصيلاً ، فقد أكمل الله تعالى ورضي لنا دين الإسلام وأتمّ به النعمة علينا . وتأكيداً لمسئوليّة كلّ إنسانٍ عن نفسه يقرّر السّياق أنّ كلّ إنسانٍ يُلْزِمُهُ ربّ العزّة والجلال يوم القيامة طائره ، أي عمله في عنقه ،

ويخرج له عـزّ وجلّ يوم القيـامة كتـاباً يلقاه أمـامه منشوراً . ويـقال له فى ذلك الموقف العـصيب : اقرأ كـتاب أعـمالك . حـسبك اليـوم نفسك مـحاسـباً لك ومجازياً. وليس وراء هذا العدل وراء . ويعمّق السّياق مـسئولية الإنسان فيقرّر أنّ من اهتدى فلنفسه ثواب الاهتداء ، ومن ضلّ فعليـه عقاب الضّلال . ويوم القيامة لا تحمل نفسٌ آثمةٌ إثم نفسٍ أخرى . والله تعالى لم يكن معذّباً حتّى يبعث رسولاً وتبلغ رسالته المحاسبين . وليس للزّمن عَـلاقةٌ بعلم الله تعالى . فالله تعالى أرسل رسوله ، وبلّغ رسوله الرّسالة ، وأدّى الأمانة ، ونصح الأمّة ، وحثّها على سلوك طريق الإيمان ، وحذّرها من سلوك طريق الكفر والطّغيـان ، وبيّن الحياة الطّيّبة فى الأولى والآخرة للمـتّقين ، والحيـاة النّكدة فى الأولى والآخرة للفاسـقين عن أمر ربّهم جلّ وعلا وإن خفيت تلك الحقيقة عن الفاسقين ، وبيّن أنّ أكثر الفاسقين هم المترفـون ، وأنّ الضّلال إذا تأكـدّ والفسق إذا تأصّـل سوف يأخذ الله تعـالى أهل القرى بظلمهم ويدّمر القرى تدميـرا . لقد عُبّر عن هذه المعانى بالإرادة والأمر فى قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيهـا ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميرا ﴾ ويعمق السّياق المسئوليّة بتحذير كفّار مكّة أن يكون مصيـرهم مصير المكذّبين السّابقين . فكـم أهلك الله تعالى الخبير البـصير بذنوب عباده من الأمم من بعد نوحٍ عليه السّلام أوّل الرّسل إلى البشر . إنّ من كان يريد بعـمل الصّالحـات الدّنيا العـاجلة أعطى الله تعـالى من يشاء إعطاءه منهـا . وفى الآخرة يدخل النّار ملوماً لإيـثاره العاجلة مدحوراً مطروداً من رحـمة الله تعالى . وإنّ من أراد بعمله الآخـرة وسعى لها سعيـها الحثيث الجادّ وهـو مؤمن ، فأولئك كان سـعيهم مـشكوراً . وإنّ الله تعالى يمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطـائه فى الدّنيا . فليس عطاء الله تعالى ممـنوعاً عن المؤمن أو الكافر . انظر أيّهـا الرّسول الكريم ، وانظر أيّها المـؤمن ، كيف فضّلنا فى الـدّنيا بعضـهم على بعضٍ ، وللآخرة أكـبر درجاتٍ وأكبر تفـضيلاً فاستبـقوا الخيرات وطبّقوا تعـاليم القرآن الكريم الّذى تبيّنه سنّة المصطفى ﷺ . ومن الآيات الكريمات الّتى تضمّنت التّعاليم أو الأحكام غير

القابلة للنّقض فى سائر الشّرائع آيات الحكمة من سورة الإسراء .

« آيات الحكمة »

الآيات (٢٢ ـ ٣٩)

معانى آيات الحكمة فى سورة الإسراء المكّيّة وغيرها من السّور المكّيّة غير قابلةٍ للنّسخ فى سائر الشرائع من لدن آدم عليه السّلام . وتبدأ آيات الحكمة فى سورة الإسراء وتنتهى بالحديث فى أخطر قضيّة وهي قضيّة التّوحيد . وليس ثمّة القضيّة الأخرى الّتى تحدّثت عنها آيات الحكمة فى سورة الإسراء أكثر من مرّة . إنّها تنهى كلّ إنسانٍ عن أن يجعل مع الله تعالى إلهاً آخر فيقعد مذموماً من عباد الله تعالى بسبب شركه فى الحياة الأولى ، مخذولاً فى الحياة الأخرى من ربّ العباد جلّ وعلا القادر على كلّ شيء فكيف بالآلهة العاجزة المقهورة . وبعد النّهي فى الآية الكريمة الأولى عن الشّرك يأتى الأمر فى الآية الكريمة الثّانية بالتّوحيد ، وببّر الوالدين ، فإنّ معنى القول : ﴿ وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحسانا ﴾ أمر ربّك بإفراده جلّ وعلا بالعبادة وبرّ الوالدين . وفى أسلوب القرآن الكريم المعجز يأتى النّهي عن أدنى إساءةٍ للوالدين بحيث إنّ عناصر الجملة الفعليّة ينقلب ترتيبها رأساً على عقب من أجل تحقيق المعانى القصيّة وذلك فى القول : ﴿ إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ﴾ وبعد الحثّ على القول الكريم للوالدين يأتى الحثّ على الفعل الكريم بخفض جناح الذّل من الرّحمة ودعاء الرّبّ البرّ الرّحيم أن يرحمهما كما ربّيا الابن والابنة حينما كانا صغيرين ضعيفين كضعف الوالدين أو أشد ضعفا . ويفتح السّياق باب الأمل لمن زلّت به النّعل وقتاً من الأوقات فعليه أن يتوب توبةً نصوحاً ويعمل صالحاً . وكان الوالدان منطلقاً للأمر بإيتاء الآخرين حقوقهم الّتى فرضها الله تعالى لهم عند الأغنياء ومن ثمّ كان الابتداء بالأقرب فالأقرب . ولمّا كان البذل أو الجود ربمّا أفضى إلى آفته وهي الفقر المترتّب على التّبذير كان ثمّة نهيٌ عن التّبذير ، وحثٌّ على القول اللّطيف لأصحاب

الحقوق حينما يكون المعطى ذاتُه منتظـراً فضل الله تعالى عليه . ولّما كان النّهي عن التّبذير ربّما فهم بعضـهم منه الحثّ على البخل كان ثمة حثٌ على الطريق الوسط بين البخل والتّـبذير ، وتنبـيهٌ إلى أنّ الله سبـحانه وتعالى هـو الرّزّاق الّذى يبسط الرّزق لمن يشاء ويضيّق على من يشاء لما له جلّ وعلا فى ذلك من الحكمة البالغة. وكان الحديث فى الرّزق باعـثاً على النّهي عن قتل الأولاد والبنات خشيـة الفقر ، وتطمين الآباء أنّ الله سبحانه وتعالى سوف يرزق الأولاد ويرزق الآباء ، فلا معنى لقتل بعـض الجاهليّين أبناءهم وبناتهم خـشية الفـقر . وكـما كان النّهـي عن قتل الأولاد أو الذّرّيّة بطريقٍ مـباشـر كان ذلك النهـي توطئة للنهي عن قـتل الأولاد بطريق غيـر مبـاشر ، وذلك بالنّهي عن مجـرّد الاقتـراب من الزّني : ﴿ إنّه كان فاحشةً وساء سبيلا ﴾ ويأتى فى سلسلة أنواع القتل النّهى عن قتل النّفس الّتى حرّم الله تعالى قتلها إلاّ بالحقّ، ونهي وليّ المقـتول الّذى جعل الله تعالى له سلطاناً عن طريق الحكومة كي يأخذ حقّه ، نهي وليّ المقـتول عن الإسراف فى القتل إن أصرّ على القصاص كأن يقتل مع القاتل غيره ، أو غير القاتل ، أو أشرف من القاتل ، أو أن يمثّل بالمقتـول ، إلى غيـر ذلك من مظاهر الإسراف فى القـتل . ولّما كانت عمليّة القـتل أو الموت يرتبط بها الذّرّيّة أو اليتامى فى العادة كـان ثمّة نهيٌ للأولياء عن مجـرد الاقتـراب من مال اليتـيم إلاّ بالطّريقة الّتى هي أحـسن ، وحثٌّ على الوفاء بالعهد مع الله تعالى ومع عباد الله تعالى ، وعلى الوفاء بالكيل والوزن فإنّ الوفاء خيرٌ حـالاً وخيرٌ مآلاً . وتأكيداً لمسئوليـة الإنسان عن كلّ ما يصدر عنه هو يُنْهَى عن اتّباع ما ليس له به علم ،وينبّه إلى أنّه مسـئولٌ عن سمعه وبصره وفؤاده . وحرصاً على صلاح الإنسـان باطناً وظاهراً هو يؤمر من حيث الظّاهر بأن يمشي على الأرض هَوْناً ، لا أن يمشي فى الأرض مـرحاً يضـربها بعـقبـيه أو يلـمسـها برءوس أصابع قدمـيه . إنّه لن يخرق الأرض حينمـا يضربها بعقبـيه ، ولن يبلغ الجبال طولاً حينما يلمسها برءوس أصابع قدميه . إنّ كلّ سيّىءٍ منهيٌّ عنه ، وكلّ حسنٍ مأمورٌ به . وختمت آيات الحكمة بالحـديث فى قضيّة التّوحيد ، لأنّ المشرك

يُلْقَيَ يوم القيامة فى جهنّم ملوماً من عباد الله تعالى مطروداً من رحمة الله تعالى .

« تسبِّح السّماوات والأرض ومن فيهنّ لله تعالى الواحد الّذى يزيد المنصرفين عن القرآن الكريم الظّالمين عمىً وصمما»
الآيات (٤٠ ـ ٤٨)

لّما كانت قضيّة التّوحيد أهمّ حبّات عِقْد آيات الحكمة ، كان من الطّبيعيّ أن يتحوّل الحديث إلى قضيّة التّوحيد هذه . لقد ابتدأ السّياق فى هذا القسم بالإنكار على كفّار مكّة ومن شاكلهم من المشركين وتبكيتهم فى أسلوب الاستفهام : أفخصّكم ربّكم جلّ وعلا بذكور الأولاد لأنّكم تحبّون الذّكور واتّخذ لنفسه الملائكة إناثاً لأنّكم تبغضون الإناث : ﴿ إنكم لتقولون قولاً عظيماً ﴾ ومع أنّ ربّ العزّة والجلال قد صرّف فى القرآن ضروب القول ليتّعظ القوم فإنّهم ما ازدادوا إلاّ نفوراً من التّوحيد وإقبالاً على الشّرك . قل لهم أيّها الرّسول الكريم وأيّها المسلم لله رب العالمين ، لو كان مع الله تعالى آخرةٌ أخرى كما يزعم المشركون : ﴿ لابتغوا إلى ذى العرش سبيلاً ﴾ : ﴿ إذاً لذَهَبَ كلّ إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض . سبحان الله عمّا يصفون . عالم الغيب والشّهادة فتعالى عمّا يشركون ﴾[1] تنزّه جلّ وتعالى عمّا يقول الظّالمون علواً كبيراً وتعالياً عظيماً . تسبّح له جلّ وعلا السّماوات والأرض ومن فيهنّ . وما من شيءٍ إلا يسبّح بحمده جلّ وعلا بقول : سبحان الله وبحمده ، ولكن لا نفقه تسبيحهم ولا نفهم تحميدهم . إنّه جلّ وعلا كان حليماً لا يعاجل بالعقوبة ، غفوراً لمن تاب وأناب . وعقاباً للمعرضين عن القرآن الكريم جعل الله سبحانه وتعالى بين المصطفى ﷺ الّذى يقرأ القرآن الكريم : ﴿وبين الّذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ كما جعل الله سبحانه وتعالى على قلوب القوم أغطية لئلا يفقهوه عقاباً لتلك القلوب على الانصراف عن القرآن

---

(١) سورة المؤمنون ٩١و٩٢.

الكريم أوّل مرّة ، كما جعل جلّ وعلا فى آذانهم وَقْراً وصمّماً لئلاّ يسمعوه سماع تدبّر عقاباً لتلك الأسماع الّتى ما وعت أوّل مرّة بل لفظت ماسمعت فكان أصحابها كالأنعام بل هم أضلّ . وإذا ذكر المصطفى ﷺ ربّه جلّ وعلا وحده لا شريك له فى القرآن الكريم : ﴿ ولّوْا على أدبارهم نفوراً ﴾ إنّ ربّ العزّة والجلال أعلم بما يستمعون بسببه وهو الاستهزاء ، إذ يستمعون إليك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم وإذ هم يتناجون إذ يقول الظّالمون ماتتّبعون إلاّ رجلاً مسحوراً . انظر يامحمّد كيف ضربوا لك الأمثال فقالوا إنّ مَثَلَكَ مثلُ السّاحر والكاهن والشّاعر ومن إليهم فضّلوا فلا يستطيعون سبيلاً ولا يهتدون طريقاً .

« منكرو البعث سوف يستجيبون بحمد الله تعالى لدعوته جلّ وعلا لهم يوم القيامة ، وادعوا إلى الله على بصيرة ، وكما يكون التّفاضل فى الأولى يكون فى الآخرة »

الآيات (٤٩ ـ ٥٧)

إنّ أكبر مسألةٍ يستعصى على المشركين استساغتها البعث بعد الموت لذا فإنّهم يسألون فى إنكار : أئذا كنّا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون يوم القيامة خلقاً جديداً بأن تعود الحياة إلينا أو أن نعود نحن الى الحياة . وتنويهاً بقدرة الله تعالى على كلّ شىء ، ومن ذلك إعادة العظام الّتى خلقها الله تعالى أوّل مرّة ، يأمر السّياق منكرى عودة الحياة إلى العظام بأن يكون قوامُهم ليس العظام لكن الحجارة أو الحديد أو أيّ خلقٍ أو مادّة ممّا يكبر فى صدورهم عودة الحياة إليه من الحجارة أو الحديد فضلاً عن العظام فإنّ الله سبحانه وتعالى قادرٌ على إعادة الحياة إليه . ومن البيّن أنّ المشركين لايد لهم فى خلق ذواتهم فتأكّد أنّ المقصود التّنويه بقدرة الله تعالى . ويسأل المشركون فى تعجّب واستغراب : ﴿ من يعيدنا ﴾ ويكون الجواب الطّبيعىّ بأنّ الّذى يعيدهم هو الله تعالى الّذى فطرهم أوّل مرّة فإنّهم يعترفون بأنّ الله تعالى هو الّذى أوجدهم من العدم . وتجاه هذا الجواب المفحم يرفعون رءوسهم تجاه المصطفى ﷺ يسألون فى حيرة : ﴿ متى هو ﴾ ويؤمر عليه الصّلاة

والسّلام بأن يجيبهم قائلاً : ﴿ عسى أن يكون قريبا ﴾ إنّ ربّ العزّة والجلال سوف يدعوهم يوم القيامة فيستجيبون بالخروج من القبور وهم حامدون لله تعالى مثنون عليه بما هو أهله جلّ وعلا ، ويظنّون لهول الموقف مالبثوا فى الحياة الدّنيا إلاّ قليلا . ويأمر السّياق العباد بأن يقولوا الكلمة الّتى هي أحسن . ويحذّرهم من الشّيطان الرّجيم الّذى يحرص على الإفساد بينهم فإنّه العدوّ المبين العداوة لجنس الإنسان . ومن هؤلاء العباد الدّعاة إلى الله تعالى الّذين ينبغى عليهم أن يدعوا إلى الله تعالى على بصيرة وبالحكمة والموعظة الحسنة . والله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه من يبحث عن الحقّ فيرحمه بأن يهديه ، ومن يصرّ على الباطل فيزيده عمىً إلى عماه حتّى يعذّب فى النّار . وليس على الدّعاة سوى البلاغ ، وفى مقدّمتهم إمامهم وأسوتهم الحسنة محمّد بن عبد الله ﷺ الّذى لم يرسله جلّ وعلا عليهم وكيلاً ومسيطرا . وكما أومأ السّياق إلى هذا النّوع المحدود من علم الله تعالى أومأ إلى علم الله تعالى المطلق بكلّ من فى السّماوات والأرض وما فيهما . ومن مظاهر علم الله تعالى وقدرته كذلك تفضيل بعض النّبيّين على بعض ، وتفضيلهم وراء نعمة النّبوّة ونعمة الرّسالة ببعض الخصائص ، ومن ذلك على سبيل المثال داود عليه السّلام الّذى آتاه الله تعالى الزبور . وتأكيداً لعجز الآلهة المزعومة يأمر السّياق المشركين بأن يدعوا تلك الآلهة المزعومة من دون الله تعالى كي يتأكّدوا أنّها لا تملك كشف الضّرّ عنهم ولا تحويله إلى غيرهم . وبشأن المعبودين غير العالمين بعبادة المشركين لهم وغير الرّاضين عن تلك العبادة كالملائكة وعيسى عليه السلام من الصّالحين هم أنفسهم يطلبون القربة من الله تعالى ، وكلّما ازدادت قربتهم وارتقت درجتهم ازدادوا اجتهاداً فى طلب القربة وازداد رجاؤهم فى رحمة الله تعالى فأكثروا من الحسنات ، وخوفهم من عذاب الله تعالى فاجتنبوا السّيئات . إنّ عذاب الله تعالى كان دائماً وأبداً يحذره العالمون العاقلون . ومن البيّن أنّ الاجتهاد فى طلب القربة من الله تعالى من مقوّمات التّفاضل فى الأولى والآخرة . إنّ على أهل قرية مكّة الظّالمين أن يعوا هذه الحقائق وأن يتحوّلوا مسلمين لله تعالى ربّ

العالمين وأن يستبقوا الخيرات .

« كلّ القرى الظّالمة سوف يهلكها الله تعالى أو يعذّبها ، فعلى أهل مكّة أن يكتفوا بمعجزة القرآن ، ويطيعوا الرّحمن، ويعصوا الشّيطان »
الآيات (٥٨ ـ ٦٥)

يقرّر السّياق أنّه ما من قريةٍ من القرى ولا مدينةٍ من المدن إلاّ والله سبحانه وتعالى مهلكها قبل يوم القيامة أو معذّبها عذاباً شديداً . كان ذلك فى اللّوح المحفوظ مكتوباً . وما منع ربّ العزّة والجلال أن يرسل بالآيات الّتى اقترحها المكّيّون إلاّ لأنّ الأمم السّابقة الّتى اقترحت على أنبيائها آيات فتحقّقت لم تؤمن بها فأخذها الله تعالى بالعذاب الشّديد ، ومن هؤلاء قوم صالحٍ عليه السّلام الّذين اقترحوا النّاقة فكفروا بها فأخذهم العذاب الشّديد . إنّ ربّ العزّة لم يشأ استئصال شأفة كفّار مكّة الّذين سبق علم الله تعالى إلى أنهم لن يؤمنوا بالآية الّتى اقترحوا لو تحقّقت . والله سبحانه وتعالى مايرسل بالآيات من زلازل وفيضانات وبراكين وما إليها إلاّ تخويفاً للنّاس كي يرتدعوا . واذكر يا محمّد إذ قلنا لك إنّ ربّك عزّ وجلّ قد أحاط بالنّاس علماً وقدرة ، ومن هؤلاء كفّار مكّة ، وما جعلنا الرّؤية البصريّة الّتى أريناك ليلة الإسراء والمعراج إلاّ فتنةً للنّاس واختباراً لأهل مكّة ، وكذلك جعلنا شجرة الزّقّوم الملعونة فى القرآن الكريم فتنةً للنّاس واختباراً لأهل مكّة الّذين سخر مشركوهم منها ، وارتدّ بعض ضعاف الإيمان من المسلمين بسببها . والعجيب فى هؤلاء المشركين أنّ ربّ العزّة والجلال يخوّفهم فما يزيدهم التّخويف بآي الذّكر الحكيم وسواها إلاّ طغياناً كبيراً . والسّبب فى عصيان القوم للرّحمن طاعتهم العمياء للشّيطان العدوّ الأكبر للإنسان . ويتحوّل السّياق إلى

الحديث فى عداوة الشّيطان الأزليّة للإنسان فيقول : واذكر يا محمّد إذ قلنا للملائكة الكرام اسجدوا سجود تحيّةٍ وإعظام لآدم عليه السّلام فسجدوا إلاّ إبليس الّذى استنكف وقال : أأسجد لمن خلقته يا ربّى من طين فى حين خلقتنى يا ربّى من نارٍ أسما من الطّين . وغفل اللّعين ونسي أنّ آدم عليه السّلام قد نفخ الله تعالى فيه من روحه جلّ وعلا . واستمرّ اللّعين فى كبره وعناده وقال : أخبرنى يا ربّى عن هذا الإنسان الّذى كرّمته عليّ فأمرتنى بالسّجود له ، بعزّتك وجلالك لئن أخّرتنى إلى يوم القيامة لأستأصلنّ جميع ذريته بإضلالهم عن سواء السّبيل إلاّ قليلاً منهم وهم عبادك المخلصون . ولمّا كان ربّ العزّة يؤاخذ عبيده بأعمالهم وأقوالهم وليس بسابق علمه عزّ وجلّ وكان الجميع مسئولا أمام الله تعالى فإنّ ربّ العزّة والجلال يقول للّعين اذهب مأذوناً لك بفعل ما أنت مسئولٌ عنه فمن تبعكم منهم من الضّالّين فإنّ جهنّم جزاؤكم أجمعين . وهيّج على الشّرور والآثام من استطعت منهم بصوتك فى هيئة القبيح من القول والوساوس ، وشنّ عليكم الغارات بجنودك فى المعاصى من الفرسان والمشاة كي يأتوا كلّ قبيح ومنكر ، وشاركهم فى الأموال فى الحرام وفى الأولاد بارتكاب الزّنى ، وأكثر من الوعود المعسولة والأمانيّ الّتى ليس لها رصيدٌ من الواقع فى حقّ المتحرّجين المتردّدين فى إتيان المعاصى فليست وعودك إلاّ الأباطيل ، وليست أمانيّك إلاّ الأحلام . ويقرّر السّياق أنّ عباد الله تعالى الّذين أضيفوا إليه جلّ وعلا إضافة تكريم وتشريف ليس للّعين أدنى سلطانٍ عليهم ، وكفى بربّك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم ، وأيها الإنسان ، وكيلاً وحفيظاً .

« الإنسان الشّكور يثاب فى الأولى والآخرة ، والإنسان الكفور يعاقب فى الأولى والآخرة »

الآيات (٦٦ ـ ٧٢)

أشار السّياق فى القسم السّابق إلى أنّ ربّ العزّة لم يلبّ طلبات كفّار مكّة بشأن الآيات الّتى اقترحوا وإلى أنّ ربّ العزّة إنّما يرسل ما يشاء من الآيات بقصد

تخويف النّاس كي يعودوا إلى الجادّة . وإنّما لم يحقّق ربّ العزّة الآيات المقترحة لأنّ فى القرآن الكريم الغناء ، ولأنّ فى كلّ شيءٍ ونعمةٍ آيةً تدلّ على أنّ الله تعالى هو الواحد الأحد الفرد الصّمد الّذى لم يلد ولم يولدٍ ولم يكن له كفواً أحد . يقرّر السّياق أنّ ربّ العزّة والجلال هو الّذى يسوق السّفن فى البحر من أجلنا لنبتغى من فضل الله تعالى وأنّه جلّ وعلا كان بنا رحيماً دائماً وأبداً . فإذا مسّ النّاس الضّرّ فى البحر غاب من يدعون إلاّ الله سبحانه وتعالى . فلمّا أنجاهم إلى البرّ أعرضوا وبادلوا الإحسان إليهم بالكفران . وفى أسلوب الإنكار يسأل السّياق الكافرين : أفأمنتم أن يخسف الله تعالى بكم جانب البرّ فى هيئة الزّلازل مثلاً أو أن يرسل عليكم حاصباً فى هيئة البراكين الثّائرة مثلاً ثمّ لا تجدوا لكم وكيلاً يأبه لكم ويهتم بشئونكم . أم أمنتم أن يعيدكم فى البحر مرّة أخرى فيرسل عليكم قاصف الرّيح وكاسر السّفن من العواصف فيغرقكم بسبب كفركم ثمّ لا تجدوا لكم علينا به تابعاً يتبعنا مطالباً بحقٍّ لكم . إنّ على النّاس أن يشكروا لله تعالى نعمه ، ومنها الحمل فى البرّ والبحر بإفراد الله تعالى بالعبادة ، ومنها مطلق التّكريم لهم بخلقهم فى أحسن تقويم ، ورزقهم من الطّيّبات ، وتفضيلهم على كثيرٍ ممّن خلق الله تعالى تفضيلاً ، وفى يوم القيامة سوف يدعو الله تعالى كلّ أناسٍ بإمامهم الّذى ائتمّوا به فى طريق الهدى أو الضّلالة . فمن أوتى كتابه بيمينه فإنّه يقرأ كتابه بسعادةٍ وابتهاج ولا يُظْلَمُ شيئاً بحذف حسنةٍ أو إضافة سيّئة . ومن كان فى هذه الحياةٍ الأولى أعمى البصيرة لم يقم بما يجب عليه من شكرٍ لله تعالى فهو فى الآخرة أعمى الحجّة وأضلّ سبيلاً لأنّ مصيره النّار وبئس القرار والعياذ بالله .

« أنواعُ من عمى الضّالّين ، وأنواعٌ من وسائل تثبيت المصطفى ﷺ والمؤمنين »

الآيات (٧٣ ـ ٨٨)

أشارت آخر آيات القسم السّابق إلى عمى الضّالّين فى الأولى والآخرة ، وضلالهم الأكبر فى الآخرة . وتشير آيات هذا القسم التّالى إلى أنواع من عمى

الكافرين الضّالّين ، وإلى أنواعٍ من وسائل تـثبيت المصطفى ﷺ والمؤمنين . وتبدأ آيات القسم بالإشـارة إلى مجموعـةٍ من الممتنعات المبنيّ بعضـها على بعض . إنّ السَّبب حينـما يمتنع يمتنـع المسبَّب . إنّ كـفّـار مكّة ومن شاكلهـم كادوا يفـتنون المصطفى ﷺ ويصرفونه عن القرآن الكريم الّذى أوحاه الله تعـالى إليه ليفتري على الله تعالى غيـره كي يتّخذوه عليه الصّلاة ،والسّـلام خليلاً لهم ووليّاً . ولولا أن ثبّت الله تعالى رسوله ﷺ وعصمه لقد كـاد يركن إليهم ويميل شيئاً قليلاً ، ولكنّ الله تعالى سلّم فلم يحدث الميل إلى الكافرين ولا الافتراء على الله تعالى ، ولا ما ترتّب عليهما ومن ذلك أن يذيق الله تعالى النّبيّ ﷺ ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الآخرة بعد الممات وألاّ يجد من دون الله تعالى وليّاً ولا نصيرا . وإنّ كفّار مكّة كـادوا يزعجـون المصطفى ﷺ ليـخرجـوه من أرض مكّة ، ولو مكّنهم الله تعالى من الإزعاج والإخـراج لأخرج الله تعالى كفّار مكّة من أرضـهم فوراً جرياً على سنّة الله تعالى الّتى لا تتـحوّل ولا تتبدّل . وقد ضـربت السّورة الكريمة بعد ذلك الدّليل على هذه السّنّة بأخراج فرعون وآله من أرض مـصر الّتى أخرجوا منها موسى عليه السّلام وقومه فأغرق الله تعالى فرعون ومن معه جميعاً . إنّ الّذى أذن للمصطفى ﷺ بالخروج من مكّة هو الله تعالى وقـد وافق ذلك الخروج هوى كفّار مكّة لذا نسبت الآية الكريمة الثّالثـة عشرة من سورة محمّـد ﷺ الإخراج إليهم . ولمّا كـان ربّ العزّة قـد جـعل قُرة عين المصطفـى ﷺ فى الصّلاة وقـرّة عين كل مؤمن، ولمّا كـان المصطفى ﷺ إذا حَزَبه أمـرٌ فَـزِع إلى الصّلاة ، فقـد أمر ربّ العزّة حبيبه ﷺ بأن يقيم الصّلاة لدلوك الشّمس بمعنى زوالها فتدخل صلاتا الظهر والعصر ، أو بمعنى غروبها فتـدخل صلاة المغرب وحدها ، إلى غسق الّليل بمعنى غروب الشّمس فتدخل صلاتا المغرب والعشاء ، أو بمعنى ظلمة الّليل فتدخل صلاة العشاء وحدها ، وبأن يقـيم عليه الصّلاة والسّلام قرآن الفجـر بمعنى صلاة الفجر الّتى تُسْمَعُ فيها تلاوة القرآن الكريم الجهـريّة بأكثر من المغرب والعشاء فى العادة . إنّ قرآن الفـجر بمعنى صـلاته تشهده مـلائكة الّليل وملائكة النّـهار . ويدخل فى

صلاة الفجر تلاوة القرآن الكريم فجراً . ويؤمر عليه الصّلاة والسّلام بأن يتهجّد من اللّيل بالقرآن الكريم نافلةً له عليه الصّلاة والسّلام ، عسى أن يبعثه ربّه جلّ وعلا مقاماً محموداً يوم القيامة هو مقام الشّفاعة . ويؤمر عليه الصّلاة والسّلام كما يؤمر كلّ مسلم بأن يسأل ربّه جلّ وعلا بأن يدخله فى كلّ شئونه مُدْخَل صدق وحقٍّ وأن يخرجه مُخْرَج صدقٍ وحقّ ، وأن يجعل الله تعالى له سلطاناً نصيراً وحجّةً غالبة . كما يؤمر بأن يقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل . إنّ الباطل كان زهوقاً ﴾ ويقرّر السّياق أنّ ربّ العزّة ينزّل من القرآن الكريم ماهو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ، ولا يزيد الظّالمين إلاّ خسارا . وإنّ جنس الإنسان إذا أنعم الله تعالى عليه أعرض ونأى بجانبه . وإذا مسّه الشّرّ كان يئوساً . إنّ المصطفى ﷺ يؤمر بأن يقول لذلك الإنسان ، كما يؤمر كلّ مسلم أن يقول : كلٌّ يعمل على طريقته وطبيعته ، فربّكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً وسيجزى كلاًّ يوم الجزاء بما يستحقّ . ومع أن أهل الكتاب يجدون المصطفى ﷺ فى كلٍّ من التّوراة الّتى أوحاها الله تعالى إلى موسى عليه السّلام ، والإنجيل الّذى أوحاه الله تعالى إلى عيسى عليه السّلام ، فإن يهود منطقة المدينة المنّورة من باب التّعنّت يسألون عن الرّوح فيما يسألونه عليه الصّلاة والسّلام عنه . ويأمر ربّ العزّة والجلال حبيبه ﷺ بأن يقول للسائلين : إنّ الرّوح من أمر ربّى جل وعلا الّذى استأثر وحده بعلمه . وماأوتيتم من العلم إلاّ قليلاً بالقياس لعلم الله تعالى المحيط . ومن مظاهر رحمة الله تعالى الّتى وسعت المصطفى ﷺ كما وسعت كلّ حيٍّ وشيء ، ومن مظاهر فضل الله تعالى الكبيرة على المصطفى ﷺ أنّ ربّ العزّة لم يشأ أنّ يذهب بالقرآن الكريم الّذى أوحاه الله تعالى إلى المصطفى ﷺ ولو شاء جلّ وعلا لفعل ،ما وجد عليه الصّلاة والسّلام له وكيلاً يمنع ذلك أو ناصراً يعيد ذلك الممحوّ من كلٍّ من الصّدر والسّطر . ويختم القسم بآية التحدّى التّي تقرّر أنّ الإنس كلّهم والجنّ كلّهم ، لو اجتمعوا واتفقوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً ومعيناً . إنّنا هنا أمام مجموعةٍ من المستحيلات وما بُنِيَ على

المستحيل مستحيل . إنّ الإنس والجنّ لن يستطيعوا أن يأتوا بمثل أصغر سورةٍ من سور القرآن الكريم فكيف بما فوق ذلك .

« إصرار الكافرين على عدم إدراك الحكمة من كون الرّسول واحداً من البشر ، وعلى الضّلال وإنكار البعث » الآيات (٨٩ ـ ١٠٠)

وعلى الرّغم من كون مشركى مكّة في المقام الأوّل أصحاب البيان وأئمّة الفصاحة ولا يخفى عليهم إعجاز القرآن الكريم فإنّهم يصرّون على الإعراض عن القرآن الكريم إلى طلب آياتٍ أخر . وبعض الآيات الّتى يطلبون يعلمون أنّها مستحيلة التّحقيق كطلبهم أن يروا الله تعالى والملائكة عياناً دليلاً على صدق المصطفى ﷺ . أمّا ما يصحّ عقلاً تحقيقه من الآيات فإنّه يقلّ فى مجال الإقناع عن آية القرآن الكريم الكبرى ومعجزة المصطفى ﷺ العُظمىَ . ولا ننسى أنّ الأمّة العربيّة قبل الإسلام قد تجلّت عبقريّتها فى مجال البلاغة . ومع أنّ كفّار مكّة ، الّذين يشتركون مع سائر العرب فى مجال البلاغة ، يزيدون عليهم بجانبٍ نفسيٍّ ، باعثه التّنافس بين بيوتات قريشٍ لمزاحمة بنى هاشم الّذين بُعث فيهم المصطفى ﷺ ، ولكنّهم عجزوا عن الإتيان بمثل أقصر سورةٍ من سور القرآن الكريم ، فقد كان منهم طلب الآيات من باب التّعنّت ، ثمّ كان منهم استلال السّيوف واستمراء الحتوف .

يقرّر السّياق أنّ ربّ العزّة والجلال صرّف للنّاس فى هذا القرآن الكريم من ضروب القول الّتى يجرى كلّ قولٍ منها مجرى المثل لخفّته على اللّسان ، وتمكنه من الجَنان (القلب) ومع ذلك فقد أبى أكثر النّاس إلاّ تمادياً فى الكفر والضّلال . وقال كفّار مكّة للمصطفى ﷺ من قبيل التّعنّت : لن نؤمن لك حتّى تَفْجرُ لنا من أرض مكة فى الوادى غير ذى الزّرع عيناً يجرى ماؤها ويتدفّق . أو أن تكون لك

جنّةٌ وحديقةٌ تشتمل على جميع الأشجار والزّروع ، وفى مقدّمتها النّخيل والأعناب ، فتفجّر فى أثنائها الأنهار المتدفّقة تفجيراً . أو أن تُسْقِط السّماء كما زعمت وادّعيت علينا قطعاً من حجارةٍ فى هيئة المطر ، أو أن تأتي بالله تعالى وبالملائكة الكرام كي نراهم عيانا . ومن البيّن تحوّل الكافرين من النّقيض إلى النّقيض، من طلب العذاب فى صورةٍ من أبشع صوره ، وطلبهم أن يروا الله تعالى والملائكة الكرام عيانا . أو أن يكون لك يا محمّد بيتٌ من ذهب ، أو تصعد أمامنا فى سلّم إلى السّماء ، ولن نؤمن لرقيّك وصعودك حتّى تُنزّل علينا كتاباً من ربّ الأنام نقرؤه بأنّك رسول ربّ العالمين . ويؤمر عليه الصّلاة والسّلام بأن يقول لأولئك المتعنّتين الّذين يهرفون بما لا يعرفون : تنزيهاً لربّى جلّ وعلا عن كلّ ما ألحقه به الظّالمون وما اقترحه المتعنّتون . هل كنت إلاّ بشراً رسولاً أنفّذ ما يأمرنى به ربّى ومولاي جلّ وعلا . ويبيّن السّياق السّبب الّذى من أجله لم يؤمن النّاس بعد أن جاءهم الهدى وهو أنّهم استنكروا واستنكفوا أن يكون الرّسول إليهم واحداً من البشر مثلهم . إنّ الرّسالة فى ظنّ هؤلاء إنّما تليق بالملائكة ، فلا أقلّ من أن يشهد مَلَك واحد أو أكثر من واحدٍ بأنّ محمداً بن عبد الله ﷺ رسول ربّ العالمين . ولمّا كان الرّسول ينبغى أن يكون من جنس المرسل إليهم كي يتحقّق الانسجام والتّفاهم فقد بيّن السّياق أنّ الأرض لو كان يسكنها الملائكة لكان الرّسول إليهم واحداً منهم ، أي من جنس الملائكة . ولمّا كان الّذين يسكنون الأرض هم البشر ، لذا كان رسول الله تعالى إليهم واحداً منهم ، وهو محمّد بن عبد الله ﷺ خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين ، عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه . وتجاه إصرار الكافرين على إعراضهم وصدّهم عن السّبيل يؤمر عليه الصّلاة والسّلام أن يقول لهم : كفى بالله تعالى شهيداً بينى وبينكم أنّى رسوله جلّ وعلا إليكم . إنّ الله تعالى كان دائماً وأبداً الخبير البصير بعباده . ويقرّر السّياق أنّ الّذى يهديه الله تعالى ويزيده هدىً هو المهتدى ، وأنّ الّذى يضلّه الله تعالى ويزيده ضلالاً هو الضّالّ الّذى لن يجد أحدٌ له وليّاً ولا نصيراً من دون الله تعالى . إنّ أولئك

الضّالّين عن سواء السّبيل يحشرهم الله تعالى يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ومصيرهم جهنّم كلّما سكنت نارها زادها الله تعالى اشتعالاً وتأجّجاً . إنّ ذلك جزاؤهم بسبب كفرهم بآيات الله تعالى وقولهم فى أسلوب الاستفهام الإنكاريّ : أئذا كنّا عظاماً بعد موتنا ، وغدت عظامنا رفاتاً وفتاتاً أئنّا لمبعوثون يوم القيامة من قبورنا خلقاً جديداً ! أو لم ير أولئك المنكرون للبعث أنّ الله تعالى الّذى خلق السّماوات والأرض وأوجدهما على غير مثال سابقٍ قادرٌ على أن يخلق مثلهم فى الصّغر بالقياس إلى السّماوات والأرض الأشدّ خلقاً والأعظم إبداعاً من خلق النّاس وفيهم كفّار مكّة المكرّمة . إنّ الله سبحانه وتعالى قد جعل للنّاس أجلاً لاريب فيه وعمراً لا شكّ فى انقضائه فى أثناء السّفر إلى الله تعالى . ولكن الظالمين يصرّون على كفرهم وعنادهم وصدّهم عن سبيل الله تعالى والحرص على منع رحمة الله تعالى أن تصل إلى النّاس فى هيئة دين الاسلام الّذى لا يقبل الله تعالى ديناً سواه . وإنّ أولئك الكافرين يحرصون بطبعهم على منع كلّ خيرٍ أن يصل إلى عباد الله تعالى ، لذا يأمر السّياق المصطفى ﷺ أن يقول لهم : لو أنتم تملكون خزائن رحمة الله تعالى من رزقٍ ومطرٍ وصحّة ونعمة وما إلى ذلك إذاً لأمسكتم عن الإنفاق خشية النّفاد . وكان جنس الإنسان قتوراً دائما وأبداً .

« نصر الله تعالى موسى عليه السّلام دليلٌ على نصر الله تعالى محمّداً ﷺ بدليل دخول أهل الكتاب فى الإسلام فادعوا الله وأحمدوه وكبّروه »

(الآيات (١٠١ ـ ١١١)

بعد أن تحدّثت آيات القسم السّابق عن بعض الأمور الّتى تدل على إصرار الكافرين على كفرهم وعلى الصّدّ عن سبيل الله تعالى ، فإنّ السّور الكريمة تتحدّث فى آخرها كما تحدّثت فى أوّلها عن بنى إسرائيل وعن القرآن الكريم الّذى يهدى النّاس جميعاً ، وفيهم أهل الكتاب ، إلى الطّريقة الّتى هي أقوم . إنّ السّياق يقرّر أنّ ربّ العزّة والجلال قد آتى موسى عليه السّلام تسع آيات بيّناتٍ هي

اليد والعصا والسّنون ونقص الثّمرات والطوفان والجراد والقمّل والضّفادع والدم ، إضافةً إلى التّوراة الّتى نصّت عليها السّورة الكريمة فى أوّلها . وإنّ فى استطاعة المصطفى ﷺ أن يسأل بنى إسرائيل من ذرّيّة قوم موسى عليه السّلام إذ جاءهم عليه الصّلاة والسّلام فقال له فرعون إنّى لأظنك يا موسى رجلاً مسحوراً مغلوبةً قواك العقليّة بقويً خفيّة شرّيرة . ونستطيع أن نفهم أنّ الإذن لمحمّد ﷺ بأن يسأل بنى اسرائيل تأكيداً لتصديق القرآن الكريم الكتب السّماوية السّابقة وهيمنته عليها ، وأن نفهم أنّ جواب بنى إسرائيل ، لو فُرِض أنّهم سئلوا ، ينبغى أن يكون موافقاً لما تضمنه القرآن الكريم . ورداً على فرعون يقول موسى عليه السّلام : لقد علمت يافرعون ما أنزل هؤلاء الآيات إلاّ ربّ السّماوات والأرض كي يستبصر بها المستبصرون ويهتدوا بها . وفى مقابل ظنّ فرعون السّحر الغالب على موسى عليه السّلام يكون يقين موسى عليه السّلام بالهلاك المحدق بفرعون عليه لعنة الله . وحينما أراد فرعون إزعاج موسى وقومه وإخراجهم من أرض مصر ومكّنه الله تعالى من ذلك أغرقه هو وآله . وقال الله تعالى من بعد هلاك فرعون لبنى إسرائيل اسكنوا أرض الشّام ، ويلحق بذلك سواها ، فإذا جاء وعد الآخرة وقيام السّاعة جاء الله سبحانه وتعالى بكم جميعاً ، ولفّ بعضكم على بعض ، من أجل الحساب فالثّواب أو العقاب . وبسبب أوجه الشّبه الكثيرة بين ملابسات الدّعوتين المحمّديّة والموسويّة يكون فى نهاية السّورة على غرار أولها حديثٌ عن بعض ملابسات الدّعوتين السّماويّتين . ونستطيع أن نفهم أنّ نصر الله تعالى موسى عليه السّلام على فرعون وآله بشارةٌ لمحمّد بن عبد الله ﷺ بأنّ نصر الله تعالى له على كفّار مكّة وسائر المشركين آت بإذن الله تعالى ، لا محالة . ولمّا كان القرآن الكريم الجيش الأكبر للمصطفى ﷺ ومعجزته الكبرى ، فقد تحوّل الحديث إلى هذا الجيش الأكبر ، والمعجزة الكبرى ، إلى القرآن الكريم الّذى جاء ذكره بصريح اللّفظ فى سورة الإسراء بأكثر من أيّ سورةٍ أخري . إنّ السّياق يقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم بالحقّ فالحقّ غايته ، وأنّ القرآن الكريم بالحقّ

نزل ، فالحقّ مصاحبٌ للقرآن لأنّ القرآن الكريم مشتملٌ عليه . ولم يرسل الله تعالى محمّداً ﷺ إلاّ مبشراً للمؤمنين بالجنّة ومنذراً للكافرين بالنّار . وهذا القرآن الكريم فصّله الله تعالى ، وبيّن أحكامه ، ووضّح حلاله وحرامه ، ليقرأه ﷺ على النّاس على مُكْثٍ وتؤدة . وقد نزّل الله تعالى القرآن الكريم تنزيلاً ، ونجّمه تنجيماً خلال ثلاثٍ وعشرين سنة ليرتّله المصطفى ﷺ والمؤمنون ترتيلاً ، وليثبّت فؤاد المصطفى ﷺ وأفئدة المؤمنين تثبيتاً . ودليلاً على هوان الكافرين الّذين كفروا بدعوة محمّد ﷺ يقرّر السّياق استواء إيمانهم وكفرهم بسبب غنى الله تعالى عنهم وارتداد العذاب اليهم . ويتحوّل السّياق إلى الّذين أوتوا العلم من أهل الكتاب ، من اليهود والنصّارى ، الّذين أسلموا وأصبحوا جزءاً من خير أمةٍ أخرجت للنّاس. إنّهم إذا تُتْلى عليهم آيات القرآن الكريم يبادرون إلى السّجود على وجوههم تسبق أذقانُهم جباهَهُمْ وأنوفَهُمْ إلى السجود لله ربّ العالمين . وفى أثناء الإتّجاه إلى السّجود وفى أثناء السّجود وفى كلّ الأحوال هم ينزّهون الله تعالى قائلين : ﴿ سبحان ربّنا ﴾ ويعلنون أنّ وعد ربّهم جلّ وعلا كان مفعولاً بإرسال خير الأنام ﷺ بدين الإسلام لله ربّ العالمين وإنزال القرآن الكريم خير الكلام . إنّهم قبل السّجود على الوجوه يبكون وتزيدهم تلاوة القرآن الكريم خشوعاً ، ومن باب الأحرى والأولى حينما يسجدون . ومن مظاهر عبث الكافرين زعمهم أنّهم لا يعرفون معنى : ﴿ الرّحمن ﴾ لذا حينما يدعو المصطفى ﷺ الله تعالى رحمان الدّنيا والآخرة يزعمون أنّ محمّداً ﷺ يدعو إلهين اثنين : ﴿ الله ﴾ و : ﴿ الرحمن ﴾ إنّ السّياق يأمر المصطفى ﷺ بأن يأمرهم بدعاء الله تعالى وبدعاء الرّحمن وبدعائه جلّ وعلا بأسمائه الحُسنى ، لأن لله تعالى الواحد الأحد الكثير من الأسماء والصّفات . ويُنْهيَ عليه الصّلاة والسّلام عن الجهر بالقرآن الكريم أثناء أداء الصّلاة بمكة قبل الهجرة كيلا يسبّ المشركون منزّل القرآن الكريم، والقرآن الكريم ، ومن نَزَلَ عليه القرآن الكريم ، وعن خفض الصّوت فى أثناء التّلاوة كيلا يُحْرَمَ المؤمنون الحريصون غلى سماع القرآن الكريم من فائدة الاستماع

ومتعته ، ويؤمر عليه الصّلاة والسّلام بأن يسلك الطّريق الوسط بين الجهر والهمس. والآية الكريمة الأخيرة فى السّورة الكريمة ، تأمر المصطفى ﷺ وكلّ مسلم بأن يحمد الله تعالى الّذى لم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً ولم يكن له شريكٌ فى الملك بباعث الضّعف ، ولم يكن له وليّ وناصرٌ من الذّلّ ، وبأن يكبّر الله تعالى تكبيراً كثيراً . وهكذا تُختم السّورة الكريمة بالتّكبير وتُبْدأ بالتّنزيه . وها نحن أولاء نقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلاّ الله ، والله أكبر.

التّفسير

(١)

« سبحان الّذى أسرى الملائكة بعبده

محمّدٍ ﷺ من المسجد الحرام

إلى المسجد الأقصي »

الآية (١)

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾

سبحان الّذى أسـري بعبده ليلاً : تنزيهاً لّلذى أسرى بعـبده ، وتَبرئةً له ممّا يقول فيه المشركون ، مِنْ أنّ له مِنْ خلـقه شريكاً ، وأنّ له صاحبةً وولدا ، وعلواً له وتعظيماً عـمّا أضافوه إليه ونسبوه منْ جـهالاتهم وخطأ أقوالهم(١) وسبحان : مفعول مطلق لفـعل محذوف منصوب(٢) والسُّرَى : سَـيْرُ الّليل . يقـال : سَرَى وأَسْرَى(٣) والإسراء والسُّـرَى سيـر الّليل . فمن قـال : أسرى قـال : يسرى إسراء. ومن قال : سَرَى قـال : يَسْرى سُرى(٤) بعبده : محمّد ﷺ(٥) ليلاً : ظرف زمان منصوب متعلّق بأسرى(٦) وفائدة ذكره الإشـارة بتنكيره إلـــى تقليـل مـدّته(٧) .

من المسجد الحرام : فى مكّة المكرّمة(٨)

إلى المسجـد الأقصى : يعنى مسجـد بيت المقدس(٩) والقَصَى : البُـعْد . والمكان الأَقْـصِى : الأبعد . وقـوله : ﴿ إلى المســجـد الأقـصى ﴾ يعنـى بيت

---

(١) تفسير الطّبرى ١٥/ ٢

(٢) الجدول فى إعراب القرآن وصرفه ٨/ ٥

(٣) مفردات الرّاغب الأصفهانى : « سرى» ٢٣١

(٤) تفسير الطّبرى ١٥/ ٣

(٥) الجلالين

(٦) الجدول فى إعراب القرآن وصرفه ٨/ ٥

(٧) الجلالين والبحر المحيط ٦/ ٥

(٨) في كتـابنا : تأملات فى سورة الإسـراء ٢٣ـ٢٥ رجّحنا ـ والله تعـالى أعلم ـ أنّ الإسراء كان من المسـجد الحرام بالذات وذلك بسـبب ذكر المسجد الأقـصى فى الآية الكريمة . فالإسراء من مـسجد إلى مسـجد . وانظر ـ مثلا ـ تفسير ابن كثير ٣/ ٢

(٩) تفسير الطّبرى ١٥/ ٥

المقدس . فسمّاه الأقْصَى اعتباراً بمكان المخاطَبين من النّبيّ ﷺ وأصحابه ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين(١) وقيل له الأقصى لأنّه أبعد المساجد الّتى تُزار ويُبْتَغَى فى زيارته الفضل بعد المسجد الحرام(٢) .

الّذى باركنا حوله : أى فى الزّروع والثّمار(٣) والأنهار (٤)

لنريه : أى محمّداً ﷺ(٥) .

من آياتنا : عجائب قدرتنا(٦) .

إنّه هو السّميع البصير : أي السّميع لأقوال عباده ، مؤمنهم وكافرهم ، مصدّقهم ومكذّبهم ، البصير بهم ، فيعطى كلاً منهم ما يستحقّه فى الدّنيا والآخرة(٧) .

ومن البيّن أنّ الآية الكريمة تتحدّث عن الإسراء . وبسبب الحديث عن الإسراء سمّيت السّورة الكريمة به ، كما أنّها سمّيت سورة بنى إسرائيل ، بسبب حديثها المستفيض ، في أوّلها وآخرها عن القوم .

ومن البيّن كذلك أنّ الإسراء والمعراج متلازمان . وقد تحدّثت عن المعراج هذه الآيات الكريمات من سورة النّجم(٨) قال تعالى ﴿ والنّجم إذا هوى . ما ضلّ صاحبكم وما غَوَى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلاّ وحي يوحَى . علّمه شديدُ القُوى . ذو مِرّةٍ فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثمّ دنا فتدلّى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كَذَبَ الفؤاد ما رأى .

---

(١) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانى : «قصى» ٤٠٥

(٢) تفسير الطّبرى ١٥/ ٥

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٢

(٤) الجلالين

(٥) تفسير الطّبرى ١٥/ ١٤ وتفسير ابن كثير ٣/ ٢

(٦) الجلالين

(٧) تفسير ابن كثير ٣/ ٢

(٨) الآيات ١ـ١٨

أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلةً أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنّة المأوى . إذ يَغْشَى السِّدرة ما يغشَى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى مِنْ آيات ربّه الكبرى ﴾ .

مِنْ أحاديث الإسراء والمعراج .

روى الإمام مسلم فى صحيحه(١) عن أنس بن مالك عن ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنّه جاءه ثلاثة نفر(٢) حينما كان المصطفى ﷺ عند البيت بين النّائم واليقظان إذ سمع ﷺ قائلاً يقول : أَحَدُ الثّلاثة بين الرّجلين ، فأُتيتُ فانْطُلِقَ بى ، فأُتيتُ بطَسْت من ذهب ، فيها من ماء زمزم ، فَشُرِح صدرى(٣) . . . فاستُخْرِج قلبى فَغُسِلَ بماء زمزم ، ثمّ أعيد مكانه ، ثمّ حُشِي إيماناً وحكمة(٤) قال رسول الله ﷺ(٥) : « أُتيتُ بالبُراق ، وهو دابّةٌ أبيضُ طويلٌ فوق الحِمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طَرْفه ، قال : فَرَكِبْتُه حتّى أتيتُ بيت المَقْدِس . قال : فَرَبطتُهُ بالحَلْقة الّتى يَرْبط بها الأنبياء . قال : ثمّ دَخَلْتُ المسجد فصلّيتُ فيه ركعتين ، ثَمّ خرجت فجاءنى جبريل عليه السّلام بإناءٍ من خمرٍ وإناءٍ من لبن ، فاخْتَرْتُ اللّبن . فقال جبريل ﷺ : اخترت الفطرة. ثمّ عَرَج بنا إلى السّماء ، فاستفتح جبريل . فقيل : من أنت : قال : جبريل . قيل : ومَنْ مَعَك ؟ قال : محمّد . قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بُعِث إليه . ففُتِح لنا فإذا أنا بآدم ، فرحّب بى ودعا لي بخير . ثَمّ عَرَج بنا إلى السّماء الثّانية ، فاستفتح جبريل عليه السّلام ، فقيل : مَنْ أنت ؟ قال : جبريل : قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمّد . قيل : وقد بُعِث إليه ؟ قال : قد بُعِث إليه .

---

(١) انظر صحيح مسلم ٢/ ٢١٧

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٢١٧

(٣) أي شقّ صدرى جاء ص ٢٢٦ : «فشُقّ من النّحر إلى مراقّ البطن»

(٤) صحيح مسلم ٢/ ٢٢٣

(٥) صحيح مسلم ٢/ ٢١٠-٢١٥

فَفُتِح لنا . فإذا أنا بابْنَي الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريّا ، صَلواتُ الله عليهما . فرّحبا بى ودعوا لي بخير . ثّم عَرَجَ بى إلى السّماء الثّالثة ، فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمّدٌ ﷺ. قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه . فَفُتِح لنا . فإذا أنا بيوسف ﷺ ، إذا هو قد أُعْطِيَ شطر الحُسْن(١) فرحّب بى ودعا لي بخير . ثمّ عَرَج بنا إلى السّماء الرّابعة . فاستفتح جبريل عليه السّلام . قيل : مَنْ هذا ؟ قال: جبريل . قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمّد . قال : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه . ففُتِح لنا فإذا أنا بإدريس فرحّب ودعا لي بخير . قال الله عزّ وجل(٢) : ﴿ ورفعناه مكاناً عليّاً ﴾ ثمّ عَرَج بنا إلى السّماء الخامسة ، فاستفتح جبريل قيل : مَنْ هذا ؟ قال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمّد. قيل : وقد بُعث إليه. قال : قد بُعث إليه . ففُتِح لنا . فإذا أنا بهارون ﷺ . فرحّب ودعا لي بخير . ثم عَرَج بنا إلى السّماء السّادسة ، فاستفتح جبريل عليه السلام قيل: مَنْ هذا ؟ قال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال: محمّد . قيل : وقد بُعث إليه . قال : قد بُعث إليه . ففُتِح لنا . فإذا أنا بموسى ﷺ ، فرحّب ودعا لي بخير . ثّم عَرَج بنا إلى السّماء السّابعة . فاستفتح جبريلُ فقيل :مَنْ هذا ؟ قال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمّد ﷺ . قيل : وقد بُعث إليه . قال : قد بُعث إليه . ففُتِح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مُسْنِداً ظَهْرَه إلى البيت المعمور ، وإذا هو يَدْخُله كلَّ يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون إليه . ثم ذهب بى إلى السِّدرة المنتهى(٣) وإذا ورقها كآذان الفِيَلَة ، وإذا ثمرها

---

(١) جاء فى السّيرة النّبويّة لابن هشام (١/ ٤٠٦) : «فإذا فيها رجلٌ صورته كصورة القمر ليلة البدر»

(٢) سورة مريم ٥٧

(٣) يقول الإمام النّووى ، صحيح مسلم ٢/ ٢١٤ : «هكذا وقع فى الأصول : السّدرة بالألف واللّام . وفى الرّوايات بعد هذا : سدرة المنتهي. قال ابن عباس والمفسّرون وغيرهم : سمّيت سدرة المنتهى لأنّ —

كالقِلال[1] قال : فلمّا غَشيها من أمر الله ماغشي تغيرَّت ، فما أَحَدٌ مِنَ خلق الله يستطيع أن ينعتَها مِنْ حُسْنها ، فأوحى الله إليَّ ما أوحى . ففرض عليَّ خمسين صلاةً فى كلّ يومٍ وليلة . فنزلتُ إلى موسى ﷺ فقال : مافَرَض ربُّك على أمّتك ؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجْع إلى ربّك فاسأله التّخفيف فإنّ أمتّك لا يطيقون ذلك ، فإنيّ قد بَلَوْتُ بنى إسرائيل وخبرتُهُمْ . قال : فَرَجَعْتُ إلى ربّى فقلت : ياربّ خفّف عن أمّتى فَحَطّ عنّى خمساً . فَرَجعت إلى موسى فقلت : حَطَّ عنّى خمساً . قال : إنّ أمّتك لا يطيقون ذلك ، فارجع إلى ربّك فاسأله التّخفيف . قال فلم أزل أرجع بين ربّى تبارك وتعالى وبين موسي عليه السّلام ، حتّى قال : يامحمّد . إنّهنّ خمسُ صَلَوات كلَّ يوم وليلة . لكلّ صلاة عشر ، فذلك خمسون صلاةً . ومَنْ همّ بحسنة فلم يعملها كُتِبَتْ له حسنة . فإن عَملَها كُتِبَتْ له عشرا . ومَنْ همّ بسيّئة فلم يعمَلها لم تُكْتبَتْ شيئاً . فإن عَملَها كُتِبَتْ سيئةً واحدة . قال : فنزلتُ حتّى انتهيت إلى موسى ﷺ فأخبرتُهُ فقال : ارجع إلى ربّك فاسأله التّخفيف . فقال رسول الله ﷺ : فقلت : قد رجَعْتُ إلى ربّى حتّى استحييتُ منه » .

وروى مسلمٌ فى صحيحه[2] : « أنّ ابن عبّاسٍ وأبا حَبّةَ الأنصاريّ كانا يقولان : قال رسول الله ﷺ ، ثمّ عَرَج بى حتّى ظهرت لُمُسْتَوًى أسمع فيه صريفَ الأقلام »[3] وبالاضافة إلى الصّلواتِ الخمسِ التّى أُعْطِيها ﷺ ، أُعْطِي

– علم الملائكة ينتهى إليها ولم يجاوزها أحدٌ إلاّ رسول الله ﷺ . وحُكِيَ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنّها سمّيَتْ بذلك لكونها ينتهى إليها مايهبط من فوقها ومايصعد من تحتها من أمر الله تعالى» والسِّدر : شجر النَّبق ، واحدتها سدْرة. لسان العرب : «سدر»

(١) كالقلال : هو بكسر القاف ، جمع قُلّة . والقُلّة جرّةٌ عظيمةٌ تَسَع قربتين أو أكثر . الإمام النّووى . والقُلّة بضم القاف.

(٢) ٢/ ٢٢٠

(٣) ظهرت : علوت . والمستوى بفتح الواو . قال الخطّابى : المراد به المصعد . وقيل : المكان المستوى . وصريف الأقلام بالصّاد المهملة ، تصويتها حال الكتابة . قال الخطّابى : هو صوت ما تكتبه الملائكة مِنْ أقضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللّوح المحفوظ. الإمام النّووى.